مقاصد الشريعة الإسلامية ودورها في البناء الحضاري ((دراسة أصولية))

بحث مقدم للمشاركةفي مؤتمر الجامعة العراقية كلية العلوم الإسلامية
((البناء الحضاري والمعرفي في رصانة الشخصية العلمية))

A research paper submitted for participation
in the conference of the Iraqi University, College of Islamic Sciences
((Civilizational and Knowledge Building in the Soundness
of the Scientific Personality))

أ. م. د. رنا عبد الحميد سعيد الجبوري
قسم العقيدة
A.M.D. Rana Abd Al-Hameed Saeed Al-Jibouri

Objectives of Islamic Sharia and Their Role
in Civilizational Building

الملخص باللغة الإنكليزية

Building human civilization represents a great historical endeavor that humans have sought to achieve since the dawn of history, in their pursuit of achieving their well-being and progress on various fronts. The heavenly laws have played a pivotal role in guiding and organizing this endeavor through their sublime principles and values that enhance justice, equality, and human dignity.

As the Islamic Sharia emerges as a unique and comprehensive model of legislation, the objectives of Sharia (Maqasid al-Sharia) acquire exceptional importance in building human civilization.

The objectives of Sharia are those overall aims and meanings for which Allah Almighty has legislated the Sharia, and they constitute the foundation upon which the Sharia rulings are built and interpreted.

Can you provide examples of how the objectives of Sharia contribute to building human civilization?

How do the principles and values of Sharia promote justice, equality, and human dignity?

What are some specific ways in which the Islamic Sharia has influenced the development of human civilization.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُمثّل بناء الحضارة الإنسانية منهجا تقويميا ومعيارا إنسانيا سعى الانسان سعيًا لتحقيق رفاهيته وتقدمه على مختلف الأصعدة وجاءت الشرائع السماوية لتؤدي دورًا مهما في توجيه وتنظيم البناء الحضاري من خلال القواعد والمقاصد الشرعية التي تُعزّز العدالة والمساواة والكرامة الإنسانية، فالشريعة الإسلامية هي نموذج فريد وشامل للتشريع، ولمقاصد الشريعة الإسلامية دور استثنائي في بناء الحضارة الإنسانية.

فمقاصد الشريعة هي: الأهداف والمعاني الكلية التي شرع الله تعالى الشريعة من أجلها، فستكون الأساس الذي تُبنى عليه الأحكام الشرعية وتُفسر من خلاله.

وأن أهمية مقاصد الشريعة في بنائها للحضارة تتجلى من خلال كثير من الأمور :

تحديد وجهة الحضارة : فمقاصد الشريعة تعد بوصلةً حقيقة لتوجيه مسار الحضارة الإنسانية نحو الخير والعدالة، وتُحدّيد الغايات التي يجب أن تسعى البشرية لتحقيقها، وحماية المجتمع من الانحرافات الفاسدة عن ما أراده الله سبحانه وتعالى لعباده فليس كل ما وجد في الحضارات يعد من البناء الحضاري فمن العادات ما يعد هدما حضاريا فالأصل في تقييم البناء الحضاري هو الشريعة الإسلامية بمقاصدها وبمبادئها .

ديمومة الحضارة: ديمومة الحضارة تنطلق من ركائزها القويمة تُؤكد مقاصد الشريعة على بناء حضارةٍ مستدامةٍ مبناها على القيم الإنسانية والأخلاقية، فهي تُراعي مصالح جميع أفراد المجتمع، وتُحافظ على التوازن بين احتياجات الإنسان المادية والمعنوية.

تطور الحضارة : التطور من ركائز البناء القويم فمقاصد الشريعة تتيح الفرصة لتطوير الحضارة الإنسانية بما يتناسب مع متغيرات العصر، من خلال الحث على الاجتهاد والابتكار، وما ترتب الاجر والثواب على الاجتهاد الا حافزا للفقهاء لاستنباط الأحكام الجديدة التي تُحقّق مقاصد الشريعة في ظلّ التطور ومواكبة الاحداث وما يسمى بفقه النوازل .

رسالتها إنسانية : أن مصطلح الحضارة على مجتمع لا يمكن أن يسمى به مجتمع لا يتميز بخلقه الإنساني فهذا الميزة هي حقيقة الحضارة ، و أن مقاصد الشريعة تؤكد على الطابع

الإنساني ، فهي تُعزّز قيم الكرامة والاحترام والتسامح بين أفراد المجتمع، وتُحارب أشكال الظلم والتمييز.

فمقاصد الشريعة تُعد ركيزةً أساسيةً في بناء الحضارة الإنسانية، فهي تُوجّه مسارها، وتُضمن استدامتها، وتُتيح تجديدها، وتعطيها عليها طابعًا إنسانيًا أصيلًا.

فمن خلال فهم مقاصد الشريعة وتطبيقاتها الفقهية والمنهجية ، تعمل في بناء حضارةٍ إسلاميةٍ عريقةٍ تُحقّق الخير والسعادة للبشرية جمعاء.

خطة البحث

المبحث الأول: تعريف مقاصد الشريعة (مفهومها ، أنواعها)

المطلب الأول: مفهوم مقاصد الشريعة وأهميتها.

المطلب الثاني: أنواع مقاصد الشريعة:

المقاصد الضرورية.

المقاصد الحاجية.

المقاصد التكميلية.

المطلب الثالث: خصائص المقاصد الشريعة.

المبحث الثاني: دور مقاصد الشرعية في البناء الحضاري

المطلب الأول: مقاصد العدل والمساواة.

المطلب الثاني : الحرية والكرامة الإنسانية.

المطلب الثالث: مقاصد الشريعة ودورها في إرساء قيم التعاون

المطلب الرابع: دعم العلم والمعرفة.

المطلب الخامس: تقعيد العدل.

المبحث الثالث: أمثلة تطبيقية لدور مقاصد الشريعة في البناء الحضاري

المطلب الأول : تأسيس النظام الاقتصادي الإسلامي.

المطلب الثاني : بناء نظام الأسرة المسلمة.

المطلب الثالث : إرساء نظام الحكم الإسلامي.

المبحث الأول
تعريف مقاصد الشريعة (مفهومها، أنواعها)

المطلب الأول: مفهوم مقاصد الشريعة وأهميتها.

أن علم أصول الفقه من أهمّ العلوم الشرعية، لدوره في فهمِ مصادر الأحكام الشرعية واستنباطها، وتحديد وفهم مقاصدها، ومقاصد الشريعة أحدَ أهمّ مباحث أصول الفقه، ويُمكننا من خلاله فهمَ الأحكام الشرعية من خلال ترسيخ قواعد الاستنباط.

تعريف مقاصد الشريعة :

المعنى العام لمقاصد الشريعة: هو الحِكم المختلفة، والمعاني المتعدِّدة التي تتعلَّق بالأحكام التي شرعها الله لعباده، سواءٌ تعلَّقت بالأحكام العلمية وهي العقدية، أم بالأحكام العملية فقهيّةً كانت أم أخلاقيةً.

والمعنى الخاص لمقاصد الشريعة: عرَّف بعض الباحثين المعاصرين مقاصدَ الشريعة تعريفاتٍ مختلفةً، ولا تخلو من إيرادات متعدِّدة (١).

وعليه فأقول : "إن مقاصد الشريعة هي أسرارُ التشريع المنضبطَةُ، أو هي: المعاني المختلفة، والعللُ المتعدِّدَة الملحوظَةُ في استنباط الأحكام، والعملُ بها"، وأردت بالمعاني الحِكم المنضبطَة؛ كالعِلَلِ الظاهرة التي يمكن ردُّ الأحكام إليها بطريقة شموليةٍ، وصورة عامَّةٍ، حتى تستقرَّ الأحكامُ المستنبَطةُ (٢).

ولا يخفى أن لمقاصد الشريعة الإسلامية فوائدٌ جمةٌ، منها : فهم أحكام الشريعة الإسلامية تيسر مقاصد الشريعة فهم الأحكام الشرعية بشكلٍ أعمق واكثر شمولية ، من خلال ربطها بالأهداف والمعاني الكلية التي شرعت من أجلها (٣).

---

(١) ينظر: أصول الفقه للخضري، ص٢٩٢.

(٢) ينظر: أصول الفقه، خلاف، ص١٨٦-١٨٧ بتصرف.

(٣) ينظر: شرح معالم أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة، ج١، ص١٢٠.

تأصيل الاجتهاد الفقهي ،فمن خلالها يتم التأكد من أنّ الأحكام المُستنبطة تُحقّق المقاصد الشرعية ولا تعارض بينهما [١] .

الجمع بين الأدلة الشرعية ذلك في حال تعارض الدليلين تعمل مقاصد الشريعة على التوفيق بينهما من خلال ترجيح الدّليل الذي يُحقّق المقاصد الشرعية لكونه الأرجح على غيره من الأدلة [٢].

مواكبة الفقه الإسلامي للنوازل ، فمقاصد الشريعة تمنح إمكانية تطوير الفقه الإسلامي بما يتناسب مع متغيرات ومتطلبات العصر، وذلك من خلال استنباط الأحكام الجديدة التي تُحقّق المقاصد الشرعية في ظل النوازل [٣].

المطلب الثاني : أقسام مقاصد الشريعة

وهنا لابد من ذكر اقسام المقاصد وحسب تقسيمات العلماء له :قسم علماء الأصول المقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

المقاصد الضرورية: هي تلك المقاصد التي لا غنى للمجتمع الإسلامي عنها، ولا يمكن تحقيق مقاصد الشريعة الأخرى إلاّ من خلالها ،مثل : حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض [٤].

المقاصد الحاجية: هي تلك المقاصد التي تُساعد على تحقيق المقاصد الضرورية بشكلٍ أيسر وأسهل، مثال ذلك : تشريع أحكام المعاملات المالية، وتشريع أحكام الزواج، وتشريع أحكام الجهاد [٥].

المقاصد التكميلية: هي تلك المقاصد التي تُكمل تحقيق المقاصد الضرورية والحاجية، وتُضفي عليها المزيد من الجمال.

---

(١) ينظر: الموافقات، للشاطبي، ج١، ص٣٠.

(٢) ينظر: أصول الشريعة، للأستاذ مصطفى السباعي، ص١٢٥.

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة عند الإمام الغزالي، للدكتور محمد عمارة، ص٢٠٠.

(٤) ينظر: شرح معالم أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة، ج١، ص١٢٥.

(٥) ينظر: الموافقات، للشاطبي، ج١، ص٣٥.

المطلب الثالث: خصائص مقاصد الشريعة الإسلامية:

أهم ما يميز مقاصد الشريعة الإسلامية مجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من الأهداف والقيم، وتجعلها ذات أهمية بالغة في الفقه الإسلامي ، ووجدت أنها لا بد من ذكرها لما لهذه الخصائص من أثر في البناء الحضاري ، وهي :

ومن أهم خصائص مقاصد الشريعة الإسلامية ما يلي:

١. **الشمولية :** وتعني أنها تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية، من العبادات والمعاملات وتشمل حياة الفرد والمجتمع وتنظيم علاقته بالفرد والمجتمع .

ومن الأمثلة على الشمولية ، حفظ الدين: فحفظ الدين من خلال تشريع أحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحجّ، وحفظ النفس: تشمل مقاصد الشريعة حفظ النفس من خلال تشريع أحكام القتل والجروح ،حفظ العقل: من خلال تحريم الخمر والمخدرات ،حفظ المال: من خلال تشريع أحكام البيع والشراء والإجارة، حفظ العرض: من خلال تشريع أحكام الزنا [١] .

٢. **الديمومة :** تتميز مقاصد الشريعة بالثبات وعدم التغير، وذلك لأنها نابعة من الله تعالى الذي لا يتغير ولا يتبدل، :حفظ الدين: لا يمكن أن تتغير مقاصده لأنّ الدين ثابت لا يتغير.

حفظ النفس: لا يمكن أن تتغير مقاصد ه في حفظ النفس، لأنّ النفس حقٌّ ثابتٌ للإنسان، حفظ العقل: لا يمكن أن تتغير مقاصده في حفظ العقل، لأنّ العقل أداةٌ ضروريةٌ للإنسان في حياته، حفظ المال: لا يمكن أن تتغير مقاصد الشريعة في حفظ المال، لضرورة المال في حياة الانسان ، حفظ العرض لا يمكن أن تتغير مقاصد الشريعة في حفظ العرض، لأنّ العرض حقٌّ ثابتٌ للإنسان [٢] .

٣. **جلب المصالح ودرء المفاسد** : تهدف مقاصد الشريعة إلى جلب المنفعة للإنسان ودفع المضرة عنه، وذلك من خلال تشريع الأحكام التي تُحقّق ذلك .

أمثلة على توجه مقاصد الشريعة إلى جلب المنفعة ودفع المضرة:

مثال ذلك تشريع أحكام الزواج: يُحقّق الزواج منفعةً للإنسان من خلال تكوين الأسرة وإشباع غريزةٍ فطريةٍ لديه.

(١) ينظر: شرح معالم أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة، ج١، ص١٢٤.

(٢) ينظر: الموافقات، للشاطبي، ج١، ص٣٢.

تشريع أحكام الجهاد : يُحقّق الجهاد منفعةً للإنسان من خلال حمايته من الظلم والعدوان [١] .

٤. الملائمة : مقاصد الشريعة ملائمة لفطرة الإنسان وحاجاته، لأنها من الله سبحانه تعالى خالق الانسان الاعلم بالأصلح له .

أمثلة على ملائمة مقاصد الشريعة مع طبيعة الإنسان وحاجاته:

فأحكام العبادات : أحكام العبادات تمتاز بانها ملائمة لقدرة الإنسان على أدائها، فلا تُكلفه بما لا يطيق [٢].

٥. التدرج : فمقاصد الشريعة اتخذت من التدرج في التشريع منهجا ، وذلك من خلال البدء بالأحكام السهلة ثم الانتقال إلى الأحكام الصعبة في مراحل التشريع .

مثال ذلك : تشريع أحكام العبادات بالصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، وذلك لتيسير الالتزام بها على المسلمين وكذلك احكام المعاملات فقد احل البيع والشراء وكثير من المعاملات لحقها البيان والتوضيح من السنة النبوية الشريفة مثل السلم رخص فيها كون الحاجة اليه تتطلب ذلك ،وكذلك أحكام الزواج فقد شرع أحكام الخطبة والزواج، ثم أحكام الطلاق، وذلك لحفظ الأسرة وحماية حقوق الزوجين.

٦. التكاملية : أهم ما يميز مقاصد الشريعة بالتكاملية ، بمعنى أنّها لا تتعارض مع بعضها البعض، بل تُكمّل بعضها البعض.

مثال ذلك : حفظ الدين: لا يتعارض حفظ الدين مع حفظ النفس، بل يُكمّله، لأنّ النفس هي موضع الدين.

وحفظ النفس: لا يتعارض حفظ النفس مع حفظ العقل، بل يُكمّله، لأنّ العقل هو آلة النفس.

وحفظ العقل: لا يتعارض حفظ العقل مع حفظ المال، بل يُكمّله، لأنّ المال وسيلةٌ لتحقيق احتياجات العقل.

وحفظ المال: لا يتعارض حفظ المال مع حفظ العرض، بل يُكمّله، لأنّ العرض هو حقٌّ ماليٌّ للإنسان.

---

(١) ينظر: أصول الشريعة، للأستاذ مصطفى السباعي، ص١٢٦.

(٢) ينظر: شرح معالم أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة، ج١، ص١٢٥.

المبحث الثاني
أثر مقاصد الشريعة في البناء الحضاري

قبل الخوض في مطالب هذا المبحث لا بد من بيان ماهية البناء الحضاري في المجتمعات هو مجموعة أمور تشمل المجال المجتمعي أخلاقي والخدمي والاقتصادي والثقافي والسياسي فالبناء هنا شمولي وتكاملي ولا يمكن تسمية البناء الحضاري اذا كان هناك اخفاق في جانب من الجوانب ، والبناء الحضاري يحقق غايات مهمة أهمها التنمية والرفاهية والاستقرار .

المطلب الأول: مقاصد الشريعة ودورها في ترسيخ العدل والمساواة.

العدل والمساواة بين جميع أفراد المجتمع هو من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية. فالشريعة جاءت لترسيخ قيم العدل والإنصاف بين الناس، حيث لا تمييز بينهم لدواعي العرق، أو اللون أو الجنس أو الدين .

وهذا الهدف يبني مجتمع على أسس البناء الحضاري فالمجتمعات ترقى وتعلو كلما كانت ملتزمة بمبادئ العدل والمساواة [١].

لأن تحقيق العدل أساس الاستقرار والتماسك الاجتماعي ، فعندما يسود العدل في المجتمع، تتحقق الوحدة والتعاون بين أفراده مما لا شك ينعكس إيجابيا على البناء الحضاري [٢].

والعدل هو : الوسط بين الإفراط والتفريط، ، والمساواة احدى تعريفاتها، إعطاء كل ذي حق حقه، والشريعة الإسلام وضعت مبادئ العدل والمساواة في جميع مجالات الحياة، سواء في المعاملات المالية أو الحقوق السياسية أو الاجتماعية [٣].

وأن الشريعة حرصت على تحقيق المساواة بين الناس في مجال اخر، وهو : الحقوق والواجبات، فميزان الأفضلية هو التقوى والعمل الصالح وهذا المبدأ له أثر بالغ في تعزيز الانتماء والولاء للمجتمع، مما يُسهم في بناء حضارة عريقة ودائمة [٤].

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٦٤

(٢) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ٩٩.

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، للقرضاوي، ص ٢٣

(٤) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، للزحيلي ، ج٢، ص ١٠٢٤.

أن تطبيق مبادئ العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي له انعكاس إيجابي في جوانب الحياة ، مثل ذلك : تحريم الربا وتحريم الاحتكار والغش والتدليس، ومن اثار المقاصد: تشريع الزكاة و الحث على الصدقات تحقق التكافل الاجتماعي و التكافل الا شكل من أهم اشكال بالناء الحضاري (١) .

فالمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات في مجال العبادات والمعاملات ، فلا تفضيل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ما هي الا شكل من اشكال البناء الحضاري ،وهذا له أثر كبير في تعزيز دور المرأة ومكانتها في المجتمع ودور المرأة أساسي في البناء الحضاري فإهمال حقوق المرأة ينسب الى الانهيار الحضاري وينسب المجتمع الى الجهل والرجعية كلما كان بعيدا عن حقوق المرأة ومنه سمي العصر الجاهلي بهذا الاسم كون أهم ما كان شائع فيه ضياع حقوق المرأة (٢) .

وأكدت الشريعة على ضرورة إقامة أقامت نظامًا قضائيًا يضمن الحقوق ويحمي الضعيف من الظلم والاعتداء ، فالقاضي في الإسلام ملزم بعدة شروط تضمن العدل والحكم بالحق دون محاباة وقد أفرد الفقه الإسلامي بابا خاصا في كتب الفقه والاجتهاد اسمه باب القضاء (٣).

وسأذكر بعض الأمثلة على مبدأ العدل والمساواة ودورها في البناء الحضاري :

١. المساواة في الحقوق السياسية:

الشريعة الإسلامية أقرت مبدأ المساواة في الحقوق السياسية بين جميع المواطنين، دون تمييز بسبب العرق أو الدين أو الجنس، فالمسلمون والذميون لهم الحق في المشاركة في الشؤون السياسية والإدارية للدولة (٤).

٢. مبدأ المساواة في الحقوق القضائية :

الجميع متساوون في الحقوق والواجبات، وهذا ما أكدته الشريعة الإسلامية ، بل جميع الديانات السماوية ، فلا يجوز التفريق بينهم بسبب الدين أو اللون أو الجنس فالقاضي ملزم بالحكم بالعدل والحق دون محاباة أو تحيز ومن يقرأ عن شروط القاضي وعماه في كتب الفقه

(١) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، للبوطي ، ص ٣٧.
(٢) ينظر: الموافقات، للشاطبي ،ج٢، ص ٢٠.
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ،ج١٠، ص ١٣٥.
(٤) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ، ج١، ص ١٨٥.

الإسلامي يجد أن فقهاء المسلمين وضعوا الشروط والمبادئ التي يجب على القاضي التقيد بها بما يضمن العدل والمساواة بين الخصمين في أدق التفاصيل وتصل الى درجة المساوة في المجلس والحجة والدفاع والوقت المتاح للطرفين وغيرها بما يضمن العدل الذي دعت له مقاصد الشريعة الإسلامية (١).

٣. المساواة في الميراث : قنت الشريعة الإسلامية قوانين للميراث بما يحقق العدل والمساواة بين الورثة، فحددت الحصص بدقة مراعية للظروف الخاصة لكل وارث ، وبذلك تُحقق الشريعة التوازن بين المصالح الفردية والمصلحة العامة ، ومما أثاره بعض المغرضين والذين ينصبون العداء للإسلام ذكروا أن الإسلام لم يساوي بين الذكر والانثى في الميراث واعتبروا هذا الامر دليل على عدم العدل بين الحقوق ولكن واقع الامر أن هذه الحقوق التي أقراها الإسلام ما هي الا تعبير حقيقي لواقع المجتمع الإسلامي الذي يحتم على الذكور واجبات اكثر من واجبات المرأة ، فالنفقة ،والمهور وغيرها من الأمور المادية في الإسلام تقع على عاتق الرجال دون النساء ،فما كان من مضاعفة ميراث الرجال الا كونه مطالب بالتزامات مادية تفوق التزامات المرأة وهذا لا ينطبق على المجتمعات الغربية التي لا تدين بدين الاسلام (٢).

٤. المساواة في الحقوق الاجتماعية :أن من مبادئ الشريعة الإسلامية المساواة في الحقوق الاجتماعية، فجميع أفراد المجتمع لهم الحق في الكرامة والرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية كما أن الشريعة حرمت التمييز والتفرقة بين الناس على أساس الانتماء الطبقي أو العرقي (٣) قال النبي ﷺ في خطبة الوداع :((يا أيها الناس الا أن ربكم واحد وأن اباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على احمر الا بالتقوى (٤).

وما هذا الحديث الا دليل واضح وبين على تأكيد الشريعة الإسلامية لمبدأ العدالة والتي لا شك لها دور كبير في البناء الحضاري.

---

(١) ينظر: إرشاد الفحول، للشوكاني ، ص ٢٢٠.

(٢) ينظر: المستصفى من علم الأصول، للأمام الغزالي ، ج١، ص ١٩٠.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم ،ج٣، ص .

(٤) ينظر: رواه أحمد في مسنده ج٣٨،ص ٤٧٤ ، رقم ٢٣٥٣٦.

المطلب الثاني : الحرية والكرامة الإنسانية

إن الإسلام ينطلق من مبدأ أن الإنسان مكرم ، وأن الحرية هي حق طبيعي له لا يجوز المساس به وأن كان مصطلح الحرية مقيد كون الحرية في الإسلام مشروطة بعدم المساس بحقوق الاخرين وعدم تجاوز الثوابت والاحكام الشرعية فالحرية مفهوم كبير يجب أن لا يترك على اطلاقه لأنه سيكون ذريعة لارتكاب المفاسد ولا يمكن أن يترك دون تقييد وتخصيص(١) .

فكون الشريعة الإسلامية تؤكد على أن الإنسان مخلوق مكرم، وأنه لا يجوز التعدي على حريته أو انتهاك كرامته تحت أي ظرف فالإسلام حرم الاستعباد والاتجار بالبشر، وأكد كثير من المبادئ التي من شأنها تحقيق الهدف (٢).

و أن الشريعة أقرت حرية الاعتقاد والتعبير وحذرت من كل أشكال الظلم والاستبداد فالحاكم في الإسلام ملزم بحماية حقوق الرعية وصيانة كرامتهم، ولا يجوز له أن يتعدى على حرياتهم الأساسية (٣).

إن احترام الحرية والكرامة الإنسانية هو أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام. فالسلطة السياسية مقيدة بالشريعة ولا يجوز لها أن تتجاوز حدودها أو تنتهك حقوق الناس (٤).

وبهذا يكون مقصد الشريعة في الحرية والكرامة الإنسانية له انعكاسات إيجابية على البناء الحضاري ،بل ويسهم في استقرار المجتمع وتطوره وازدهاره وهذا هو الإسلام دين الرحمة والعدل والحرية (٥).

المطلب الثالث: أثر مقاصد الشريعة في ترسيخ التعاون المجتمعي .

أهم المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية هو ترسيخ التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، فالإسلام ينظر إلى المجتمع على أنه كيان متماسك ومترابط، تحكمه روابط الإيمان والمسؤولية المشتركة (٦).

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، للقرضاوي ، ص ٢٧.

(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص ٧٢.

(٣) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٠٣.

(٤) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، ج٢، الزحيلي، ص ١٠٣١.

(٥) ينظر: علم مقاصد الشارع، الخادمي، ص ٦٠.

(٦) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٨٢.

و تسعى الشريعة إلى ترسيخ مبدأ التعاون والتضامن في المجتمع و فالقرآن الكريم يأمر المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (١) ،كما أن السنة النبوية حثت على التكافل الاجتماعي والتراحم بين الناس (٢) ، ومثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) (٣).

وتتجلى مقاصد الشريعة في إرساء قيم التعاون من خلال العديد من التشريعات والأحكام، فما تشريع الزكاة والصدقات الا مثالا واضح الدلالة لتحقيق التكافل بين الأغنياء والفقراء، وحرمت الربا والاحتكار لمنع الاستغلال الاقتصادي، كما أنها أمرت بالوفاء بالعقود والمعاهدات، وحثت على التعاون في المعاملات والأنشطة الاجتماعية (٤).

إن توطيد روح التعاون في المجتمع الإسلامي له انعكاسات إيجابية على البناء الحضاري. فعندما يسود التكافل والتراحم بين الناس، يتحقق الاستقرار والانسجام الاجتماعي. (٥).

وتأكيدًا على أهمية قيم التعاون، فقد كان النبي ﷺ والصحابة يحرصون على تعزيزها في المجتمع، فكان النبي ﷺ يؤلف بين قلوب المؤمنين، ويشجعهم على التآزر والتراحم ، كما أن الصحابة كانوا ينفقون من أموالهم ويتعاونون على البر والتقوى، مما ساهم في تماسك المجتمع الإسلامي وازدهاره (٦).

قال سيدنا عثمان بن عفان(رضي الله عنه): يا رسول الله، بئر رومة بئر ماء عذب، لها دلوها وشعبها، وهي من مياه بني ليث، وإني أريد أن أبتاعها، وأجعلها صدقة للمسلمين، فهل تأذن لي يا رسول الله؟»، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، أذن لك» (٧).

إن إرساء قيم التعاون والتكافل الاجتماعي هو من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية. فعندما تتحقق هذه القيم في المجتمع، يتعزز الترابط والانسجام، مما ينعكس إيجابًا على البناء الحضاري والازدهار العام. وهذا يؤكد على أن الإسلام دين الأخوة والتعاون بين البشر (٨).

(١) المائدة ٢
(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٣٣.
(٣) ينظر: رواه مسلم في صحيحه ٩٣/١.
(٤) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١١١.
(٥) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٣٨، تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١، ص ١٩٠.
(٦) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٤٧.
(٧) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ٤، الصفحة ٢٤٣.
(٨) ينظر: علم مقاصد الشارع، الخادمي، ص ٦٥.

وفي مجال المعاملات، أمرت الشريعة بالوفاء بالعقود والمواثيق، وحثت على التعاون في الأنشطة والمعاملات المختلفة [١] ،والامثال على ذلك من القران والسنة كثيرة منها قوله تعالى «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً» [٢] ، وقوله تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» [٣] .

فالشريعة وطدت روح التعاون والتكافل في المجتمع الإسلامي لما له من اثار إيجابية كثيرة فعندما يسود الترابط والتراحم بين الناس، يتحقق الاستقرار والانسجام الاجتماعي [٤] .

وقد كان النبي ﷺ والصحابة يحرصون على تعزيز قيم التعاون والتآزر في المجتمع فكان النبي ﷺ يؤلف بين قلوب المؤمنين ويشجعهم على المواساة والنصرة ،وكان الصحابة ينفقون من أموالهم ويتعاونون على البر والتقوى، مما ساهم في تماسك المجتمع الإسلامي وازدهاره [٥] ، فكان عبد الرحمن بن عوف من كبار التجار في مكة، وقد هاجر إلى المدينة المنورة بعد إسلامه عندما وصل إلى المدينة المنورة، كان فقيرًا، ولم يملك سوى سبعين دينارًا لكنه بعد ذلك أصبح من أغنى الصحابة، وقد أنفق أمواله في سبيل الله،اشترى بستانًا في المدينة المنورة، وجعله صدقة للمسلمين، بنى دارًا للضيوف، وقام بتمويل العديد من المشاريع الخيرية،قال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تصدق بسبع تمرّات، أو سبع بيضات، أو سبع لوزات، فلا يدخل النار». فقلت: يا رسول الله، إني أملك بستانًا في المدينة المنورة، فهل أجعله صدقة للمسلمين؟». فقال رسول الله ﷺ: «نعم، اجعله صدقة للمسلمين» [٦].

المطلب الرابع: دور مقاصد الشريعة في دعم العلم والمعرفة

أن من يبحر في دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية يجدها تؤكد ضرورة الحث على العلم والمعرفة بين أفراد المجتمع، فالإسلام يعزز مكانة العلم والتعلم باعتبارهما من أهم الوسائل لتحقيق الرقي والازدهار الحضاري [٧].

---

(١) ينظر: المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ج١، ص ٢٠٠

(٢) (الإسراء: ٣٤).

(٣) (النحل: ٩١).

(٤) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، ص ٢٢٥.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠، ص ١٤١.

(٦) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل الإيمان بالله واليوم الآخر، رقم الحديث ٤٤.

(٧) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٨٩.

فالقرآن الكريم يحث المسلمين على طلب العلم والبحث والتأمل في الكون والنفس، قال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (١)، وقوله تعالى «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (٢) .

كما أن السنة النبوية تؤكد على فضل العلماء وفرضية طلب العلم على كل مسلم ومسلمة (٣) ، "العلماء ورثة الأنبياء" (٤) ، "من يرد الله به الخير يفقهه في الدين"(٥). "فضل العالم على العابد كفضل القمر على الشمس"(٦).

وتتجلى مقاصد الشريعة في دعم العلم والمعرفة من خلال تشريع بعض الأحكام والتوجيهات فالشريعة حثت على إقامة المساجد ودور العلم والتعليم، وشرعت أن يكون احد أهم مصارف الزكاة لتمويل الجهود العلمية والثقافية كما أنها أمرت بتوثيق المعاملات والوصايا، منها كتابة الدين واباحة الرهن والقرض لكن بشروطه مما يُعزز الاهتمام بالكتابة والتدوين (٧).

ولا يخفى أن تشجيع العلم والمعرفة في المجتمع الإسلامي له أثر بالغ في تطوير الحضارة وازدهارها، فالعلماء والمفكرون هم رواد التقدم والنهضة، ومن خلال جهودهم يتم إنتاج المعرفة وتوظيفها لخدمة البشرية (٨).

وقد كان النبي ﷺ والصحابة أنموذجًا في تقدير العلماء وتشجيع العلم، فالنبي ﷺ كان يُعلّم أصحابه ويحثهم على طلب العلم، وكان الصحابة يتنافسون في الحصول على المعرفة والمشاركة في الحلقات العلمية (٩).

"قال رسول الله ﷺ : خير الناس من تعلم العلم وعلمه". (١٠).، "قال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ يسأل أصحابه: "من منكم يحب أن يُعلم القرآن الكريم؟". فيقولون: كلنا يا رسول الله.

---

(١) (الزمر: ٩)

(٢) (سورة المجادلة: ١١).

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٣٧.

(٤) ينظر: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم، رقم الحديث ٢٦٨٦.

(٥) ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، رقم الحديث ٧١.

(٦) ينظر: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم، رقم الحديث ٢٦٨٥.

(٧) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١١٥.

(٨) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي ، ج٢، ص ١٠٤١.

(٩) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٥١.

(١٠) ينظر: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم، رقم الحديث ٢٦٨٦.

فيقول: "بارك الله فيكم". (١) .

وهكذا كان النبي ﷺ والصحابة أنموذجًا بارزًا في تقدير العلماء وتشجيع طلب العلم فالنبي ﷺ كان يُعلّم أصحابه ويحثهم على المزيد من المعرفة والبحث والتأمل وكان الصحابة يتنافسون في الحصول على العلوم الشرعية والدنيوية، مما ساهم في إرساء أسس النهضة العلمية في المجتمع الإسلامي (٢).

فالعلماء والمفكرون هم قادة التقدم والتطور، ومن خلال جهودهم يتم إنتاج المعرفة وتوظيفها لخدمة البشرية وبذلك تتحقق مقاصد الشريعة في رفع مستوى الأمة وتمكينها من الريادة العلمية والحضارية (٣).

المطلب الخامس: دور مقاصد الشريعة في تقعيد العدل.

أن مقاصد الشريعة الإسلامية قننت قواعد العدل والإنصاف في العلاقات الدولية فالإسلام ينطلق من مبدأ أن العدل هو أساس قيام الملك ،و التفرقة بين الناس على أساس الجنسية أو العرق بعيدة كل البعد عن روح الإسلام ومقاصد شرعه (٤).

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بمبادئ وأحكام تهدف إلى تحقيق العدل والمساواة في المعاملات الدولية ، والأدلة من فالقرآن الكريم كثيرة منها :- أمر المسلمين بالوفاء بالعهود والمواثيق مع غير المسلمين، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» (النحل: ٩٠)، كما أن السنة النبوية حثت على احترام حقوق المعاهدين وعدم الغدر بهم (٥) **"مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْإِيمَانِ"**(٦)**"الذميُّ في ذمة الله ورسوله، عليَّ ذمته ما دام في أرض الإسلام"** [(٧).

ومن التطبيقات العملية التي أكدتها الشريعة الإسلامية حرمة انتهاك المعاهدات والمواثيق، وجواز إبرام المعاهدات مع غير المسلمين، ومثال ذلك صلح الحديبية فهو ميثاق بين المسلمين

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، رقم الحديث ٦٩.
(٢) ينظر: المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ج١، ص ٢٠٥.
(٣) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، ص ٢٣٠.
(٤) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٩٣.
(٥) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٤١.
(٦) ينظر: صحيح البخاري، كتاب السير، باب قتل المعاهد.
(٧) رواه أبو داود ، سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في قتل المعاهد.

والمشركين ، ومن أمثلة العدل التي تجسدها الشريعة الإسلامية تحريم الاعتداء على الممتلكات والأموال في حال الحرب والامر بالإحسان إلى الأسرى وعدم إيذائهم[١] ،و قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا يجوز للمسلمين أن يظلموا الكفار في أموالهم، ولا يجوز لهم أن يأخذوا أموالهم بغير حق» [٢].

ولا شك أن قواعد العدل في الشريعة الإسلامية ما شرعت الا لمقصد يُعزز من الثقة والتعاون بين الشعوب، ويُسهم في حل النزاعات والصراعات بالطرق السلمية [٣].

وقد كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون أنموذجًا في تطبيق مقاصد العدل والإنصاف في العلاقات الدولية فالنبي ﷺ أبرم معاهدات مع غير المسلمين واحترم التزاماتها، كما أنه أمر بحسن معاملة الأسرى وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده [٤] .

(١) صالحوا قريشًا صلحًا رشيدًا لا يُظلم فيه أحدٌ ولا يُؤخذ فيه من أحدٍ شيءٌ» [رواه البخاري]. ينظر: صحيح البخاري، كتاب السير، باب صلح الحديبية ونظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١١٩.

(٢) ينظر : الأم، كتاب السير، باب فيمن يجوز قتله من أهل الحرب.. المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ج١، ص ٢١٠.

(٣) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٤٤.

(٤) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٥٥.

المبحث الثالث
أمثلة تطبيقية لدور المقاصد الشريعة في البناء الحضاري

المطلب الأول: تأسيس النظام الاقتصادي الإسلامي.

أن الباحث في مقاصد الشريعة الإسلامية يجد بشكل جلي وواضح اهتمام الإسلام بالجانب الاقتصادي ، فالإسلام ينظر إلى الاقتصاد على أنه وسيلة لتحقيق الرفاهية للبشرية ، ومما لا شك فيه أن تحقيق مستوى متوازن من الرفاهية والاستقرار للمالي للفرد والمجتمع ينعكس على كيان المجتمع ككل ويحقق البناء الحضاري (١).

وبتتبع التشريعات الاقتصادية التي جاءت بها الشريعة نجد أن فالإسلام حرم الربا والاحتكار والغش، وأمر بالزكاة والصدقات كما شرع العديد من المعاملات كالبيع والشراء والمضاربة والمشاركة، والقرض والرهن والسلم وغيرها من المعاملات المالية المنضبطة التي لا شك كان أساس في بناء الاقتصاد الرصين على الأمد البعيد (٢).

فحرمت الربا من م أسبابه اعتباره وسيلة لاستغلال الآخرين والإضرار بالمصلحة العامة، فالربا يؤدي إلى تراكم الثروة في أيدي قلة على حساب الفقراء، ويُعطل آليات التنمية الاقتصادية قال تعالى «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**(٣)" [.

كما أن الشريعة حرمت الاحتكار والغش في المعاملات وكون هذا التحريم ثبت في الكتاب والسنة المطهرة فهو مسالة تعبدية لدى المسلم واثاره عظيمة على صلاح المجتمع مما يعكس الجانب الحضاري للإنسان المسلم (٤).

كما شرعت الشريعة الإسلامية العديد من المعاملات كالبيع والشراء والمضاربة والمشاركة، بما يُعزز من التعاون الاقتصادي ويضمن حقوق جميع الأطراف فهذه المعاملات تُسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية وتوزيع الموارد بشكل عادل(٥)، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «يجوز بيعُ

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ٩٧.
(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٤٥.
(٣) البقرة: ٢٧٥.
(٤) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٢٣.
(٥) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٥٩.

السِّلْعِ والمُتَاعِ، وَلَا يَجُوزُ بَيْعُ ما لاَ يُمْلَكُ، ولاَ يُمْلَكُ ما لاَ يُقْدَرُ عَلَى تَسْلِيمِهِ» (١) ،وقال الإمام مالك رحمه الله: «أصلُ البيوعِ الإباحةُ، إلا ما نَهَى الشارعُ عنهُ»(٢).

وقد كان النبي ﷺ والصحابة أنموذجًا في تطبيق هذه المبادئ الاقتصادية، فالنبي ﷺ حارب الربا والاحتكار، وشجع على التجارة والإنفاق في سبيل الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «التَّاجِرُ الصَّادِقُ الأَمِينُ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ» (٣) ، كما كان الصحابة ينفقون من أموالهم على الفقراء والمساكين، ويتعاونون في المعاملات التجارية والزراعية (٤) .

إن نظام الاقتصادي إسلامي عادل ومتوازن فالشريعة فعندما تُطبق هذه المبادئ في المجتمع، فإنها تُسهم في تحقيق التنمية الشاملة والقضاء على الفقر والتفاوت الاقتصادي وبذلك تتحقق مقاصد الشريعة في بناء مجتمع متكافل ومزدهر اقتصاديًا ينعكس على البنية الحضارية (٥).

وهناك فوائد جمة ذكرها العلماء تتحقق من خلال تطبيق قواعد الاقتصاد الإسلامي تسهم في البناء الحضاري اذكر بعضها :

١. **تحقيق الاستقرار الاقتصادي:** مفهوم الاستقرار الاقتصادي مصطلح حديث لكنه من حيث الفحوى يعود الى أصل تشريع المعاملات المالية فما أحلها الله من البيوع والتعاملات يحقق الاستقرار بلا شك وما حرمه الله يشكل خطر في الاستقرار الاقتصادي (٦).

٢. **تشجيع الاستثمار والإنتاج:** من أهم العقود الي اجازها الشرع وهي تشجع الاستثمار تشريع عقود المشاركة والمضاربة في الإسلام يحث الأفراد على الاستثمار في المشاريع الإنتاجية، مما يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي وتوفير فرص العمل (٧) ، فذهب جمهور الفقهاء (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) إلى جواز المضاربة بشروط: أن تكون السلعة مباحة، وأن تكون قابلة للتسليم وأن يكون العقد سليماً من الغرر وأن لا يُلحق الضرر بأحد (٨).

---

(١) ينظر : الأم، كتاب البيوع، باب ما يجوز بيعه وما لا يجوز و ،أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٤٧.

(٢) ينظر: الموطأ، كتاب البيوع، باب البيع.

(٣) [مسند أحمد، كتاب التجارة، باب فضل التجارة].

(٤) ينظر: إعلام الموقعين، ابن القيم، ج٣، ص ٤٥.

(٥) ينظر: المستصفى من علم الأصول، الغزالي، ج١، ص ٢١٥.

(٦) ن- ينظر: ظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٢٥.

(٧) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٤٩.

(٨) ينظر : «بدائع الصنائع» للكاساني: المجلد ٥، الصفحة ٢٤٠،الشرح الكبير» للدردير: المجلد ٦، الصفحة ٢٩٠،المغني» للشيباني: المجلد ٦، الصفحة ٢٨٠ ،»كشاف القناع» للحنفي: المجلد ٥، الصفحة ٢٠٠.

٣. تحقيق التنمية المستدامة: مصطلح التنمية لاقى اهتمام كبير من قبل الباحثين لا مجال لذكر علاقة هذا العلم بالعلوم الشرعية ، لكن فحوى المصطلح تنطبق الى حد كبير مع مقاصد الشرع فمن ذلك حماية الموارد الطبيعية من التبذير والاستنزاف، والتركيز على التنمية الشاملة في النظام الاقتصادي الإسلامي، يُسهم في تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة والحث على اعمار الأرض [١] ، ومن أدلة ذلك روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من عمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها» [٢].

٤. تحقيق الأمن الاقتصادي: مفهوم الامن الاقتصادي من حيث المصطلح قد يكون حديثا لكن من حيث المضمون ليس ببعيد عن مقاصد الشريعة الإسلامية فإن التزام المجتمع بالمبادئ الاقتصادية للشريعة الإسلامية، كتحريم الربا والاحتكار والغش، يُسهم في تحقيق الأمن الاقتصادي وحماية حقوق المتعاملين [٣]ومن أهم ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية لتحقيق الامن الاقتصادي هو مبدأ التكفل الاجتماعي ، مثال ذلك ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان له طعام ليلة أو ليلتين فليُطعم أخاه، ومن كان له بيت يسعه فليُطعم أخاه، ومن كان له ثوبان فليُلبس أخاه» [٤].

إن هذه الفوائد الاقتصادية تؤكد على أن تأسيس النظام الاقتصادي الإسلامي وفق مقاصد الشريعة يُعد أساسًا متينًا لتحقيق التنمية الشاملة والازدهار الاقتصادي للمجتمع وهذا هو أساس البناء الحضاري [٥].

المطلب الثاني : بناء نظام الأسرة المسلمة.

أن مقاصد الشريعة أسست نظاما متكاملا في بناء الأسرة والذي لا شك يشكل البناء الحضاري فكلما كان بناء الأسرة مترابطا ومتماسكا كانت لبنات البناء الحضاري متكاملة باعتبارها الخلية الأساسية للمجتمع ، فالإسلام ينظر إلى الأسرة على أنها نواة الحضارة وأساس

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠، ص ١٥٥.
(٢) روى البخاري هذا الحديث في صحيحه، في كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضًا ميتة، برقم (٢٣٣٥).
(٣) ينظر: المستصفى من علم الأصول، ج١، ص ٢٢٠.
(٤) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من كان له طعام ليلة أو ليلتين فليُطعم أخاه.
(٥) ينظر: الأمن الاقتصادي في الإسلام: مفهومه وآلياته» للدكتور عبد الرحمن بن محمد العشماوي،»دور الإسلام في تحقيق الأمن الاقتصادي» للدكتور محمد عمارة..

استقرار المجتمع(١).

وهذه الغاية المنشودة لم تكن مجرد شعارات أو غايات غير مقننة بل جعلت الشريعة الإسلامية قواعد وقوانيين لتنظيم بناء الاسرة وهذه التشريعات المنظمة للأسرة هي مثالا يحتذى به في جميع القوانين الوضعية ، كالزواج وحقوق الزوجين والأبناء، فالشريعة الإسلامية حددت أحكام الزواج والطلاق بما يحقق العدل والمودة بين أفراد الأسرة كما أنها أقرت حقوق الأطفال في التربية والنفقة والميراث (٢)،وأصبح الطفل من لحظة تكوينه في بطن أمه له الحقوق الى ولادته ونشأته ثم بلوغه وزاجه وموته وهذا ما يعرف في مباحث علم الأصول بالأهلية بنوعيها أهلية الأداء وأهلية الوجوب (٣).

إن المقاصد الشرعية الأسرية لها أثر بالغ في بناء مجتمع متماسك ومتضامن ،فالأسرة المترابطة تُشكل القاعدة الصلبة للبناء الحضاري، حيث ينشأ الأفراد على القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية، كما أن الأسرة تُعد الخطوة الأول للتنشئة الاجتماعية والتربوية(٤).

وقد كان النبي ﷺ والصحابة أنموذجًا في تطبيق هذه المقاصد الأسرية والحضارية فالنبي ﷺ أرسى أسس الأسرة المترابطة والمتماسكة، فاهتمام النبي ﷺ بأسرته كان النبي ﷺ يُعامل أسرته بالرحمة والرفق، ويُشاركهم في طعامهم وشرابهم، ويُعلمهم أمور الدين والدنيا(٥) ، وكذا أصحابه كانوا انموذجا في القيادة الاسرية و بنوا مجتمعًا إسلاميًا متطورًا، قائمًا على الرحمة والتعاون والترابط (٦).

وهكذا يتضح جليا أهمية المقاصد في تنشئة أجيال قوية وأمة متماسكة، قادرة على بناء حضارة راقية ومزدهرة، وهذا يؤكد على أن الإسلام دين الشمول والتكامل في جميع مجالات الحياة وهذه هي السمات التي يتسم بها النظام الاسلامي (٧).

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ١٠١..

(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٤٩.

(٣) ابن عابدين ٥ / ٩٧، وجواهر الإكليل ٢ / ٩٧ ط دار المعرفة، والقرطبي ٥ / ٣٤ ٣٦، وحاشية القليوبي ٢ / ٣٠٠، ٣٠١.

(٤) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٢٧.

(٥) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٦٣.

(٦) ينظر: علم مقاصد الشارع ،الخادمي، ، ص ٧٧.

(٧) ينظر: إعلام الموقعين، ابن القيم، ج٣، ص ٥٠.

المطلب الثالث : إرساء نظام الحكم الإسلامي.

أن نظام الحكم في الإسلام يعد من أهم أنواع الإدارة من حيث الأسس والقواعد التي بني عليها فهو الذي يحقق العدل والمساواة، ويضمن حماية حقوق وحريات المواطنين، فالإسلام ينظر إلى السلطة السياسية على أنها أمانة عامة تُمارس لخدمة المصلحة العامة(١).

فالشريعة شرعت مبدأ الشورى قال تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) (٢).

وكآلية لمشاركة الرعية في صنع القرار، وحددت شروط تولي السلطة والمحاسبة عليها، و أنها أقرت مبادئ المساواة والحرية السياسية، وحذرت من الاستبداد والظلم(٣).

فالشريعة الإسلامية تؤكد على أن الحاكم ليس مطلق السلطة، بل هو مقيد بأحكام الشريعة ومسؤول أمام الله وأمام الرعية قال ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))(٤)، وهذا الحديث يدل على مسؤولية الحاكم عن رعيته ، كما أنها أوجبت على الحاكم تطبيق العدل والإنصاف في الحكم، والالتزام بتحقيق مصلحة الشعب(٥) ومنت أهم ما يميز نظام السلطة في الإسلام هو المحاسبة أي : محاسبة الحاكم اذا أخطأ قال ﷺ: ((أنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد))(٦).

وفي مجال الحريات السياسية، أقرت الشريعة مبدأ المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، بغض النظر عن الدين أو العرق أو الجنس، كما حثت على حرية الرأي والتعبير، وحذرت من كل أشكال الاستبداد والقهر(٧).

ويُعد النظام السياسي في الإسلام قائمًا على العدل والمشاركة الشعبية، فالحاكم في الإسلام ليس مصدر السلطة، بل هو موكل على تطبيق أحكام الشريعة وتحقيق مصالح الرعية، وبذلك

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٥٣

(٤) ينظر: رواه البخاري ومسلم .

(٥) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٣١

(٦) رواه البخاري .

(٧) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٥٥.

يتحقق التوازن بين حقوق الحاكم وحقوق المحكومين [١].

إن إرساء نظام الحكم وفق مقاصد الشريعة له انعكاسات إيجابية على استقرار المجتمع وتقدمه الحضاري، فعندما يكون الحاكم ملتزمًا بتطبيق العدل والمساواة، وُيحترم فيه الحريات السياسية للمواطنين، يتحقق الأمن والرخاء للجميع [٢].

وقد كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون أنموذجًا في تطبيق هذه المقاصد السياسية، فالنبي ﷺ أرسى أسس الحكم العادل والشورى، وطبقها مع أصحابه، كما كان الخلفاء من بعده يحرصون على تحقيق العدل وصيانة حقوق الرعية [٣].

و من الأمثلة على كيفية تحقيق مصلحة الشعب في نظام الحكم الإسلامي وفق مقاصد الشريعة:

١- صيانة الحريات والحقوق الأساسية: تؤكد الشريعة على أن من مقاصدها في نظام الحكم حماية الحريات الفردية والحقوق السياسية للمواطنين، كحرية الاعتقاد والتعبير والمشاركة في الشؤون العامة[٤] ومن أدلة الشرع على حرية التعبير والاعتقاد قوله ﷺ ((الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال : لله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٥] ومن أعظم أدلة حرية الدين والاعتقاد ميثاق المدينة المنورة فقد أقر النبي ﷺ حرية العقيدة لأهل الكتاب الذين عاشوا في المدينة وهذا خير دليل على مبدأ الحرية .

إشراك الشعب في صنع القرار من مقاصد الشريعة في نظام الحكم إشراك الشعب في عملية صنع القرار من خلال آليات الشورى والمشاركة السياسية فالحاكم ملزم بالتشاور مع رعيته في الأمور المهمة[٦] وذكر الامام مالك في الموطأ أهمية الشورى والمشاركة الفعالة في القرارات التي تخص المجتمع وأهمية النقد البناء)[٧] ، وذكر الامام أبا حنيفة النعمان : أنه يجب على المسلمين احترام حقوق غير المسلمين [٨].

(١) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٦٧

(٢) ينظر: علم مقاصد الشارع، الخادمي، ص ٧٩

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠، ص ١٥٩

(٤) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٥٥.

(٥) رواه مسلم ج١ص٧٤.

(٦) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٣٣.

(٧) الموطأ ج١/ص١٩٠.

(٨) ينظر: المبسوط ج١٠/ ص١١٠.

٢- المساءلة والمحاسبة: سبق وذكرن أن الشريعة الإسلامية تؤكد على ضرورة خضوع الحاكم للمساءلة والمحاسبة من قبل الشعب على تصرفاته وسياساته فالحاكم في الإسلام ليس مطلق السلطة، بل هو مسؤول أمام الله وأمام رعيته(١).

٣- تحقيق الرفاه والتنمية الشاملة: أن نظام الحكم الإسلامي يعمل على تحقيق الرفاه والتنمية الشاملة للمجتمع، فالحاكم ملزم بتوفير الخدمات الأساسية للمواطنين وتعزيز التنمية في كافة المجالات(٢).

مكافحة الفساد والاستبداد: تؤكد الشريعة على ضرورة مكافحة الفساد الإداري والسياسي، وعدم السماح للحاكم بالاستبداد أو التعسف في استخدام السلطة فحقوق الشعب مصونة ولا يجوز المساس بها(٣).

هذه الأمثلة توضح كيف أن مقاصد الشريعة في نظام الحكم تسعى إلى تحقيق مصلحة الشعب وصيانة حقوقهم وحرياتهم، وبذلك يتحقق الاستقرار والازدهار للمجتمع ككل.

ومن الواجب ذكره ألية مكافحة الفساد في نظام الحكم الإسلامي:

١- تطبيق مبدأ المساءلة والمحاسبة: تؤكد الشريعة على ضرورة خضوع الحاكم للمساءلة والمحاسبة من قبل الشعب على تصرفاته وسياساته فالحاكم في الإسلام ليس مطلق السلطة، بل هو مسؤول أمام الله وأمام رعيته(٤).

٢- فصل السلطات وتوازنها: من مقاصد الشريعة في نظام الحكم فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتحقيق التوازن بينها لمنع تركيز السلطة في يد واحدة. وهذا يُسهم في الحد من الفساد(٥).

٣- تعيين المسؤولين الأكفاء والنزهاء: تؤكد الشريعة على ضرورة تعيين المسؤولين والموظفين العموميين على أساس الكفاءة والنزاهة، لا على أساس المحاباة أو الواسطة. وهذا يُعزز من الشفافية

(١) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٥٧.
(٢) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، البوطي، ص ٦٩.
(٣) ينظر: علم مقاصد الشارع، الخادمي، ص ٨١.
(٤) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص ١١٠.
(٥) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، القرضاوي، ص ٥٧.

والنزاهة في الإدارة(١).

٤- تطبيق الرقابة الشعبية: من مقاصد الشريعة في نظام الحكم تفعيل الرقابة الشعبية على الحكام والمسؤولين، من خلال آليات التظلم والشكاوى وحرية الرأي والتعبير. وهذا يُسهم في الكشف عن أي ممارسات فاسدة(٢).

٥- التطبيق الصارم للعقوبات الشرعية: تؤكد الشريعة على ضرورة تطبيق العقوبات الشرعية الصارمة على المفسدين والمرتشين في المناصب العامة. فالحدود والتعازير الشرعية تُعد ردعًا قويًا للفساد(٣).

٦- التركيز على البناء الأخلاقي والقيمي: من مقاصد الشريعة في نظام الحكم تربية الأفراد على القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية، مثل الأمانة والإخلاص والعدل. وهذا يُسهم في بناء مجتمع نزيه ومناعة ضد الفساد(٤).

وبهذا تكون مقاصد الشريعة في نظام الحكم تسعى إلى مكافحة الفساد بشكل فعال من خلال آليات رقابية وتطبيقية صارمة، إلى جانب التركيز على البناء الأخلاقي والقيمي للمجتمع.

(١) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الريسوني، ص ١٣٥.
(٢) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، ج٢، ص ١٠٥٩.
(٣) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية البوطي، ، ص ٧١.
(٤) ينظر: علم مقاصد الشارع، الخادمي، ص ٨٣.

الخاتمة

إن مقاصد الشريعة الإسلامية تشكل الركيزة الأساسية للبناء الحضاري المتكامل والمتوازن. فالإسلام، بتشريعاته وأحكامه، يهدف إلى تحقيق مصالح البشرية وإقامة العدل والخير في الأرض.

فمن خلال تعزيز قيم الحرية والكرامة الإنسانية، وإرساء أسس العدل والمساواة في المجتمع، تسعى مقاصد الشريعة إلى بناء إنسان متحرر ومنتج، قادر على المساهمة في تطوير الحضارة. كما أن تشجيع العلم والمعرفة، وتنظيم العلاقات الاقتصادية والسياسية وفق مبادئ التعاون والتكافل، تُسهم في تحقيق التنمية الشاملة والازدهار الحضاري.

وعلى صعيد البناء الاجتماعي، تؤكد مقاصد الشريعة على أهمية الأسرة كنواة للمجتمع، وتُقر حقوق الأفراد وتحمي كيان الأسرة. كما أنها تُرسي نظام الحكم القائم على العدل والمشاركة الشعبية، مما يُسهم في استقرار المجتمع وتطوره.

إن مقاصد الشريعة الإسلامية تشكل الركيزة الأساسية للبناء الحضاري المتكامل والمتوازن. فالإسلام، بتشريعاته وأحكامه، يهدف إلى تحقيق مصالح البشرية وإقامة العدل والخير في الأرض،فمن خلال تعزيز قيم الحرية والكرامة الإنسانية، وإرساء أسس العدل والمساواة في المجتمع، تسعى مقاصد الشريعة إلى بناء إنسان متحرر ومنتج، قادر على المساهمة في تطوير الحضارة. كما أن تشجيع العلم والمعرفة، وتنظيم العلاقات الاقتصادية والسياسية وفق مبادئ التعاون والتكافل، تُسهم في تحقيق التنمية الشاملة والازدهار الحضاري.

وعلى صعيد البناء الاجتماعي، تؤكد مقاصد الشريعة على أهمية الأسرة كنواة للمجتمع، وتُقر حقوق الأفراد وتحمي كيان الأسرة. كما أنها تُرسي نظام الحكم القائم على العدل والمشاركة الشعبية، مما يُسهم في استقرار المجتمع وتطوره.

وبالتالي، فإن تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية يُشكل المنهج الشامل والمتكامل للبناء الحضاري المتوازن، الذي ينطلق من رؤية إسلامية تُعلي من قيمة الإنسان وتسعى لتحقيق رخائه ورفاهيته في الدنيا والآخرة.

إن هذا الدور الحضاري لمقاصد الشريعة الإسلامية يؤكد على أن الإسلام دين الشمول والتكامل، حيث يُوجه أتباعه إلى بناء حضارة متقدمة قائمة على العدل والإيمان والعمل الصالح. وبذلك يتحقق الازدهار والرخاء للفرد والمجتمع، وترتفع رايات الأمة الإسلامية عالية في ربوع الأرض.

المصادر

١. ابن عاشور، محمد الطاهر. «مقاصد الشريعة الإسلامية». (القاهرة: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨).

٢. القرضاوي، يوسف. «مقاصد الشريعة الإسلامية». (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٣).

٣. الريسوني، أحمد. «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي». (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٥).

٤. الزحيلي، وهبة. «أصول الفقه الإسلامي». مجلدان. (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦).

٥. البوطي، محمد سعيد رمضان. «ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية». (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢).

٦. الخادمي، نور الدين بن مختار. «علم مقاصد الشارع». (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١).

٧. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. «إعلام الموقعين عن رب العالمين». ٤ مجلدات. (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣).

٨. الغزالي، محمد. «المستصفى من علم الأصول». مجلدان. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣).

٩. الشوكاني، محمد بن علي. «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول». (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٩).

١٠. ابن تيمية، أحمد. «مجموع الفتاوى». ٣٧ مجلدًا. (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، ٢٠٠٤).

١١. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. «الموافقات في أصول الشريعة». ٤ مجلدات. (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥).

١٢. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم. «البحر الرائق شرح كنز الدقائق». ٨ مجلدات. (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

١٣. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب. «الأشباه والنظائر». (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١).

١٤. البصري، محمد بن علي. «المعتمد في أصول الفقه». ٢ مجلدات. (دمشق: المعهد

العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٦٤).

١٥. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. «الاعتصام». ٢ مجلدات. (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥).

١٦. ابن حزم، علي بن أحمد. «الإحكام في أصول الأحكام». ٨ مجلدات. (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠).

١٧. الجويني، عبد الملك. «البرهان في أصول الفقه». مجلدان. (القاهرة: دار الأنصار، ١٤٠٠هـ).

١٨. الرازي، محمد بن عمر. «المحصول في علم الأصول». ٦ مجلدات. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧).

١٩. السرخسي، محمد بن أحمد. «أصول السرخسي». ٢ مجلدات. (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣).

٢٠. الشوكاني، محمد بن علي. «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول». (بيروت: دار الكتاب.

٢١. الغزالي، محمد. «شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل». (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧١).

٢٢. ابن رشد، محمد بن أحمد. «بداية المجتهد ونهاية المقتصد». ٤ مجلدات. (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥).

٢٣. الآمدي، علي بن محمد. «الإحكام في أصول الأحكام». ٤ مجلدات. (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤ هـ).

٢٤. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله. «روضة الناظر وجنة المناظر». ٢ مجلدات. (الرياض: مؤسسة الريان، ١٩٩٨).

٢٥. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله. «منهاج الوصول إلى علم الأصول». (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩).

٢٦. ابن فارس، أحمد. «مقاييس اللغة». ٦ مجلدات. (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩).

٢٧. الزركشي، بدر الدين محمد. «البحر المحيط في أصول الفقه». ٨ مجلدات. (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٢).

٢٨. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. «الموافقات في أصول الفقه». ٤ مجلدات. (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥).

٢٩. الطاهر بن عاشور، محمد. «مقاصد الشريعة الإسلامية». (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨).

٣٠. الريسوني، أحمد. «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي». (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٥).

٣١. البوطي، محمد سعيد رمضان. «ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية». (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢).

٣٢. الخادمي، نور الدين بن مختار. «علم مقاصد الشارع». (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١).

٣٣. القرضاوي، يوسف. «دراسة في فقه مقاصد الشريعة». (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٦).

٣٤. الزحيلي، وهبة. «أصول الفقه الإسلامي». ٢ مجلدات. (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦).

٣٥. ابن تيمية، أحمد. «مجموع الفتاوى». ٣٧ مجلدًا. (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد، ٢٠٠٤).

٣٦. العز بن عبد السلام. «قواعد الأحكام في مصالح الأنام». ٢ مجلدات. (بيروت: دار المعارف، ١٩٨٠).

٣٧. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. «إعلام الموقعين عن رب العالمين». ٤ مجلدات. (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣).